العددُ	ذِكرُ الأبوابِ
سز	فى الصدقاتِ و ما يجبُ فى القُنيةِ
سح	فى المباحِ و المحظورِ من المطاعمِ و المشاربِ
سط	فى المناكحِ و الحيضِ و أحوالِ الأجنّةِ و النفاسِ
ع	فى الدعاوى
عا	فى العقوباتِ و الكفّاراتِ
عب	فى المواريثِ و حقوقِ الميّتِ فيها
عج	فى حقِّ الميّتِ فى جسدِه و الأحياءِ فى أجسادِهم
عد	فى الصيامِ و أنواعِها
عه	فى تعيينِ أيّامِ الصيامِ
عو	فى الأعيادِ و الأفراحِ
عز	فى الأيّامِ المعظَّمةِ والأوقاتِ المسعودةِ والمنحوسةِ والمعيَّنةِ لاكتسابِ الثوابِ
عح	فى ذِكرِ "الكرناتِ"
عط	فى ذِكرِ "الژوكَاتِ"
ف	فى ذِكرِ أُصولِهم المدخليّةِ إلى أحكامِ النجومِ و الإشارةِ إلى طُرُقهم فيها،

فذلك ثمانونَ باباً

ا – فى ذكر أحوال الهند و تقريرها أمام ما نقصده من الحكاية عنهم

يجب أن نتصوّر أمامَ مقصودنا الأحوال التى لها يتعذّر استشفاف أمور الهند، فإمّا أن يسهل بمعرفتها الأمرُ و إمّا أن يتمهّد له العذر، و هو أنّ القطيعة تخفى ما تبديه الوُصلةُ، و لها فيما بيننا أسباب: منها أنّ القوم يباينوننا بجميع ما يشترك فيه الأمم، و أوّلها اللغة و إن تباينت الأمم بمثلها و متى رامها أحدٌ لإزالة المباينة لم يسهل ذلك لأنّها فى ذاتها طويلة عريضة تشابه العربيّة يتسمّى الشيءُ الواحد فيها بعدّة أسامٍ مقتضبة و مشتقّة، و بوقوع الاسم الواحد على عدّة مسمّيات محوجة فى المقاصد إلى زيادة صفات إذ لا يفرّق بينها إلّا ذو فطنة لموضع الكلام و قياس المعنى إلى الوراء و الأمام، و يفتخرون بذلك افتخار غيرهم به من حيث هو بالحقيقة عيب فى اللغة؛ ثمّ هى منقسمة إلى مبتذل لا يُنتفع به إلّا السوقةُ، و إلى مصون فصيح يتعلّق بالتصاريف و الاشتقاق و دقائق النحو و البلاغة لا يرجع إليه غيرُ الفضلاء المهرة؛ ثمّ هى مركّبة من حروف لا يطابق بعضُها حروفَ العربيّة و الفارسيّة و لا تشابهها بل لا تكاد ألسنتنا و لهواتنا تنقاد لإخراجها على حقيقة مخارجها و لا آذاننا تسمع بتمييزها من نظائرها و أشباهها و لا أيدينا فى الكتبة لحكايتها، فيتعذّر بذلك إثباتُ شيء من لغتهم بخطّنا لما نضطرّ إليه من الاحتيال لضبطها بتغيير النقط و العلامات و تقييدها

بإعراب إمّا مشهور و إمّا معمول ؛ هذا مع عدم اهتمام الناسخين لها و قلّة اكتراثهم بالتصحيح و المعارضة حتى يضيع الاجتهادُ و يفسد الكتابُ فى نقل له أو نقلين و يصيرَ ما فيه لغةً جديدةً لا يهتدى لها داخل أو خارج من كلتى الأمّتين ، و يكفيك معرّفا أنّا ربّما تلقّفنا من أفواههم اسما و اجتهدنا فى التوثقة منه فإذا أعدناه عليهم لم يكادوا يعرفونه إلا بجهد ؛ و يجتمع فى لغتهم كما يجتمع فى سائر لغاتِ العجم حرفان ساكنان و ثلاثة و هى التى يسمّيها أصحابنا متحرّكاتٍ بحركة خفيّة ، و يصعب علينا التفوّهُ بأكثر كلماتها و أسمائها لافتتاحها بالسواكن ؛ و كُتُبُهم فى العلوم مع ذلك منظومة بأنواع من الوزن فى ذوقهم قد قصدوا بذلك انحفاظها على حالها و تقديرها و سرعة ظهور الفساد فيها عند وقوع الزيادة و النقصان ليسهل حِفْظُها فإنّ تعويلهم عليه دون المكتوب ، و معلوم أنّ النظم لا يخلو من شوب التكلّف لتسوية الوزان و تصحيح الانكسار و جبر النقصان ، و يحوج إلى تكثير العبارات ، و هو أحدُ أسباب تقلقل الأسامى فى مسمّياتها ؛ فهذا من الأسباب التى تُعَسِّرُ الوقوف على ما عندهم . و منها أنهم يباينوننا بالديانةِ مباينةً كلّية لا يقع منّا شيءٌ من الإقرار بما عندهم و لا منهم بشيء مما عندنا ، و على قلّة تنازعهم فى أمر المذاهب بينهم بما سوى الجدال و الكلام دون الإضرار[1] بالنفس أو البدن أو الحال ليسوا مع من عداهم بهذه الوتيرة و إنما يسمّونه "مْليج" و هو القذر لا يستجيزون مخالطته فى مناكحة و مقاربة أو مجالسة و مؤاكلة

(١) فى ز : الاصرار .

و مشاربة

و مشاربة من جهة النجاسة ، و يستقذرون ما تصرّف على مائه و ناره و عليها مَدار المعاش ، ثمّ لا مطمع فى صلاح ذلك بحيلة كما يطهر النجس بالانحياز إلى حال الطهارة ؛ فليس بمطلق لهم قبول مَن ليس منهم إذا رغب فيهم أو صبا إلى دينهم ، و هذا ممّا يفسخ كلّ وُصلة و يوجب أشدّ قطيعة . و منها أنّهم يباينوننا فى الرسوم و العادات حتى كادوا أن يُخوّفوا ولدانهم بنا و بزيّنا و هَيْآتنا و ينسبوننا إلى الشيطنة و إيّاها إلى عكس الواجب و إن كانت هذه النسبة لنا مطلقة و فيما بيننا بل و بين الأمم بأسرهم مشتركة ؛ و عهدى ببعضهم و هو ينقم منّا بأنّ أحد ملوكهم هلك على يد عدوّ له قصده من أرضنا و خلّف جنينا مُلّك بعده و سمّى "سَگَر[1]" و حينَ الإيفاع سأل أمّه عن حال أبيه فقصّت عليه القصّة و امتعض لها فبرز من أرضه إلى أرض العدوّ و استوفى تِرَته من الأمم حتى ملّ الإثخان و النكاية فألزم البقايا هذا التزىّ بزيّنا تذليلا لهم و تنكيلا فشكرتُ فعلَه لمّا سمعته إذْ لم يَسُمْنا التهنّد و الانتقال إلى رسومهم . و ممّا زاد فى النفار و المباينة أنّ الفرقة المعروفة بالشمنيّة على شدّة البغضاء منهم للبراهمة هم أقرب إلى الهند من غيرهم ، و قد كانت خراسان و فارس و العراق و الموصل إلى حدود الشام فى القديم على دينهم إلى أن نجَمَ "زردشت" من اذربيجان و دعا ببلخ إلى المجوسيّة و راجت[2] دعوته عند "كشتاسب" و قام بنشرها ابنه "إسفنديار" فى

(١) من ش ، وفى ز : سكر . (٢) من ز ، وفى ش بالحاء المهملة .

بلاد المشرق و المغرب قهرا و صلحا و نصب بيوتَ النيران من الصين إلى الروم ، ثمّ استصفى الملوكُ بعده فارسَ و العراق لملّتهم فانجلت " الشمنيّة " عنها إلى مشارق بلخ و بقي المجوسُ إلى الآن بأرض الهند و يُسمّون بها " مَگ "؛ و كان ذلك بدو النفار عن جنبة خراسان فيهم إلى أن جاء الإسلام و ذهبت دولةُ الفرس، فزادهم غَزوُ أرضهم استيحاشا لمّا دخل محمّدُ بن القاسم بن المنبّه أرضَ السّند من نواحي سجستان و افتتح بلدَ " بَمْهَنوا " و سمّاه " منصورة " و بلدَ " مولستان " و سمّاه " معمورة " و أوغل في بلاد الهند إلى مدينة " كنوج " و وطئ أرض القندهار و حدودَ كشمير راجعا يُحارك مرّةً و يصالح اخرى و يُقِرُّ القومَ على النحلة إلا مَن رضى منها بالنُّقلة [1]؛ و غرس ذلك في قلوبهم السخائمَ ، و إن لم يتجاوز بعده من الغُزاة حدودَ كابل و ماء السند أحدٌ إلى أيّام التُرك حين تملكوا بغزنة في أيّام السامانيّة و نابت الدولةُ ناصرَ الدين سبكتكين فآثر الغزوَ و تلقّب به و طرّق لمن بعده في توهين جانب الهند طُرُقا سلكها يمينُ الدولة محمود رحمهما الله نيّفا و ثلاثين سنة فأباد بها خضراءَهم و فعل من الأعاجيب في بلادهم ما صاروا به هَباءً منثورا و سَمَرا مشهورا ، فبقيتْ بقاياهم المتشرّدة [2] على غاية التنافر و التباعد عن المسلمين بل كان ذلك سبب انمحاق علومهم عن الحدود المفتتحة و انجلائها إلى حيث لا يصل إليه اليدُ بعد من كشمير و بانارسي و أمثالها مع استحكام القطيعة فيها مع جميع الأجانب بموجب السياسة و الديانة .

(١) من ز ، و في ش : القلة . (٢) من ش ، و في ز : المتشررة بالراء .

و بعد ذلك أسبابٌ ذكرها كالطعن فيهم و لكنّها حافية [1] في أخلاقهم غير خفيّة ، و الحمق داءٌ لا دواء له؛ و ذلك أنّهم يعتقدون في الأرض أنّها أرضهم و في الناس أنّهم جنسهم و في الملوك أنّهم رؤساؤهم و في الدين أنّه نحلتهم و في العلم أنّه ما معهم فيترفّعون و يتبظرمون [2] و يعجبون بأنفسهم فيجهلون ، و في طباعهم الضنّ بما يعرفونه و الإفراط في الصيانة له عن غير أهله منهم فكيف عن غيرهم ؛ على أنّهم لا يظنّون أنّ في الأرض غيرَ بلدانهم و في الناس غير سكّانها و أنّ للخلق غيرهم علما حتى أنّهم إن حُدّثوا بعلم أو عالم في خراسان و فارس استجهلوا المخبر و لم يصدّقوه للآفة المذكورة ، و لو أنّهم سافروا و خالطوا غيرهم لرجعوا عن رأيهم ؛ على أنّ أوائلهم لم يكونوا بهذه المثابة من الغفلة ، فهذا " براهمهر " أحد فضلائهم حين يأمر بتعظيم البراهمة يقول : " إنّ اليونانيّين و هم أنجاس لمّا تخرّجوا في العلوم و أنافوا [3] فيها على غيرهم وجب تعظيمهم فما عسى نقوله في البرهمن إذا حاز إلى طهارته شرفَ العلم ؟ " و كانوا يعترفون لليونانيّين بأنّ ما أعطوه من العلم أرجح من نصيبهم منه ، و يكفيك دليلا عليه من مادح نفسه و هو يُقرئك السلام ؛ إنّي كنت أقف من منجّميهم مقام التلميذ من الأستاذ لعجمتي فيما بينهم و قصوري عمّا هم فيه من مواضعاتهم ، فلمّا اهتديت قليلا لها أخذتُ أُوقّفهم على العلل و أشير إلى شيء من البراهين و أُلوّح لهم

(١) من ش ، و في ز : خافية . (٢) من ز ، و في ش : يتبضرمون . (٣) من ز ، و في ش : أناموا .

الطرق الحقيقيّة فى الحسابات فاثالوا علىّ متعجّبين و على الاستفادة متهافتين يسألون: عمّن شاهدتَه من الهند حتى أخذتَ عنه؟ و أنا أُريهم مقدارَهم و أترفّع عن جنبتهم مستنكفا، فكادوا ينسبونى إلى السحر و لم يصفونى عند أكابرهم بلُغتهم إلا بالبحر و الماء يحمض حتى يَعُوزَ[1] الخلّ، فهذه صورة الحال. و لقد أعيتنى المداخل فيه مع حرصى الذى تفرّدتُ به فى أيّامى و بذلى الممكن غيرَ شحيح عليه فى جمع كتبهم من المظانّ و استحضار من يهتدى لها من المكامن و من لغيرى[2] مثلُ ذلك إلا أن يرزق من توفيق الله ما حُرِمتُه فى القدرة على الحركات عجزت فيها عن[3] القبض و البسط فى الأمر و النهى طُوى عنّى جانبُها، و الشكر لله على ما كفى منها؛ و أقول: إنّ اليونانيّين أيّامَ الجاهليّة قبل ظهور النصرانيّة كانوا على مثل ما عليه الهند من العقدة، خاصّهم فى النظر قريب من خاصّهم و عامّهم فى عبادة الأصنام كعامّهم، و لهذا أستشهد من كلام بعضهم على بعض بسبب الاتّفاق و تقارب الأمرين لا التصحيح فإنّ ما عدا الحقّ زائغ و الكفر ملّة واحدة من أجل الانحراف عنه، و لكنّ اليونانيّين فازوا بالفلاسفة الذين كانوا فى ناحيتهم حتى نقّحوا لهم الأصول الخاصّة دون العامّة لأنّ قُصارَى الخواصّ اتّباع البحث و النظر و قصارى العوامّ التهوّر و اللجاج إذا خلوا عن الخوف و الرهبة، يدلّ على ذلك سقراط لمّا خالف فى عبادة الأوثان

(١) من ز، و فى ش: يفوز. (٢) من ش، و فى ز: و لمن غيرى. (٣) من ز، و فى ش: على.

عامّةَ قومه و انحرف عن تسمية الكواكب "آلهةً" فى لفظه كيف أطبق قضاةُ أهل اثينية الأحد عشر على الفُتيا بقتله دون الثانى عشر حتى قضى نحبَه غيرَ راجع عن الحقّ؛ و لم يك للهند أمثالُهم ممّن يهذّب العلوم فلا تكاد تجد لذلك لهم خاصّ كلام إلا فى غاية الاضطراب و سوء النظام و مشوبا فى آخره خرافاتُ العوامّ من تكثير العدد و تمديد المُدَد و من موضوعات النحلة التى يستفظع أهلها فيها المخالفة، و لأجله يستولى التقليد عليهم و بسببه أقول فيما هو بابتى منهم أنّى لا أشبّه ما فى كتبهم من الحساب و نوع التعاليم إلا بصدف مخلوط بخزف أو بدُرّ ممزوج ببَعْر أو بمَهًى مقطوب بحَصًى، و الجنسان عندهم سيّان إذ لا مثالَ لهم لمعارج البرهان؛ و أنا فى أكثر ما سأورده من جهتهم حاكٍ غير منتقد إلا عن ضرورة ظاهرة، و ذاكر من الأسماء و المواضعات فى لغتهم ما لا بدّ من ذكره مرّة واحدة يوجبها التعريف، ثمّ إنْ كان مشتقّا يمكن تحويله فى العربيّة إلى معناه لم أَمِلْ عنه إلى غيره إلا أن يكون بالهنديّة أخفّ فى الاستعمال فنستعمله بعد غاية التوثقة منه فى الكتبة، أو كان مقتضيا شديد الاشتهار فبعد الإشارة إلى معناه، و إن كان له اسم عندنا مشهور فقد سهل الأمر فيه؛ و يتعذّر فيما قصدناه سلوكُ الطريق الهندسىّ فى الإحالة على الماضى دون المستأنف، و لكنه ربّما يجىء فى بعض الأبواب ذكرُ مجهول و تفسيره آتٍ فى الذى يتلوه، و الله الموفّق.

(١) من ش، و فى ز: ما أشبه. (٢) من ش، و فى ز بالراء المهملة: بخرف.

ب – ذكر اعتقادهم فى الله سبحانه

إنّما اختلف اعتقاد الخاصّ و العامّ فى كلّ أمّة بسبب أنّ طباع الخاصّة ينازع المعقول و يقصد التحقيق فى الأصول، و طباع العامّة يقف عند المحسوس و يقتنع بالفروع و لا يروم التدقيق و خاصّةً فيما افتنّت فيه الآراء و لم يتّفق عليه الأهواءُ ؛ و اعتقاد الهند فى الله سبحانه أنه الواحد الأزلىّ من غير ابتداء و لا انتهاء المختار فى فعله القادر الحكيم الحىّ المحيى المدبّر المبقى الفرد فى ملكوته عن الأضداد و الأنداد لا يشبه شيئا و لا يشبهه شىءٌ ؛ و لنُورد فى ذلك شيئا من كتبهم لئلا تكون حكايتنا كالشىء المسموع فقط، قال السائل فى كتاب ”پاتنجل“ : مَنْ هذا المعبود الذى يُنال التوفيق بعبادته ؟ قال المجيب : هو المستغنى بأوّليّته[1] و وحدانيّته عن فعل لمكافاة عليه براحة توّمّل و ترتجى أو شدّة تخاف و تتّقى ، و البرىء عن الأفكار لتعاليه عن الأضداد المكروهة و الأنداد المحبوبة ، و العالم بذاته سرمدا إذ العلم الطارئ يكون لما لم يكن بمعلوم و ليس الجهل بمتّجه عليه فى وقت مّا أو حال ؛ ثمّ يقول السائل بعد ذلك : فهل له من الصفات غيرُ ما ذكرتَ ؟ و يقول المجيب : له العلوّ التامّ فى القدر لا المكان فإنّه يجلّ عن التمكّن ، و هو الخير المحض التامّ الذى يشتاقه كلُّ موجود ، و هو العلم الخالص عن دنس السهو و الجهل ؛ قال السائل : أفتصفه بالكلام أم لا ؟ قال المجيب :

(١) من ش ، و فى ز : بأزليته .

إذا كان عالما فهو لا محالة متكلّم ؛ قال السائل : فإن كان متكلّما لأجل علمه فما الفرق بينه و بين العلماء الحكماء الذين تكلّموا من أجل علومهم ؟ قال المجيب : الفرق بينهم هو الزمان فإنّهم تعلّموا فيه و تكلّموا بعد أن لم يكونوا عالمين و لا متكلّمين و نقلوا بالكلام علومهم إلى غيرهم فكلامهم و إفادتهم فى زمان ، و إذ ليس للامور الإلهيّة بالزمان اتّصال فالله سبحانه عالم متكلّم فى الأزل ، و هو الذى كلّم ”براهم“ و غيره من الأوائل على أنحاء شتّى ، فمنهم مَن ألقى إليه كتابا ، و منهم مَن فتح لواسطة إليه بابا ، و منهم مَن أوحى إليه فنال بالفكر ما أفاض عليه ؛ قال السائل : فمن أين له هذا العلم ؟ قال المجيب : علمه على حاله فى الأزل ، و إذ لم يجهل قطّ فذاته عالمة لم تكتسب علما لم يكن له ، كما قال فى ”بيذ“ الذى أنزله على براهم : احمدوا و امدحوا من تكلّم بيذ و كان قبل بيذ ؛ قال السائل : كيف تَعبُد مَن لم يلحقه الإحساس ؟ قال المجيب : تسميته تُثبت إنّيّته فالخبر لا يكون إلا عن شىء و الاسم لا يكون إلاّ لمسمًّى ، و هو و إن غاب عن الحواسّ فلم تدركه فقد عقلته النفسُ و أحاطت بصفاته الفكرةُ و هذه هى عبادته الخالصة و بالمواظبة عليها يُنال السعادة ؛ فهذا كلامهم فى هذا الكتاب المشهور . و فى كتاب ”نيتا“ و هو جزوٌ من كتاب ”بهارت“ فيما جرى بين ”باسديو[1]“ و بين ”آرجُن“ : إنّى أنا الكلّ من غير مَبدإ بولادة أو[2] منتهًى بوفاة ، لا أقصد بفعلى مكافاة و لا أختصّ بطبقة

(١) من ز ، و فى ش : باسدين . (٢) من ش ، و فى ز : و منتهى .

دون أخرى لصداقة أو عداوة، قد أعطيت كلّا من خلق حاجتَه في فعله، فمن عرفني بهذه الصفة و تشبّه بي في إبعاد الطمع عن العمل انحلّ وثاقُه و سهل خلاصه و عتاقه، و هذا كما قيل في حدّ الفلسفة: إنّها التقيّل بالله ما أمكن، و قال في هذا الكتاب: أكثر الناس يُلجئهم الطمعُ في الحاجات إلى الله، و إذا حقّقتَ الأمر لديهم وجدتهم من معرفته في مكان سحيق لأنّ الله ليس بظاهر لكلّ أحد يدركه بحواسّه فلذلك جهلوه؛ فمنهم مَن لم يتجاوز فيه المحسوساتِ، و منهم مَن إذا تجاوزها وقف عند المطبوعات، و لم يعرفوا أنّ فوقها مَن لم يلد و لم يولد و لم يحط بغير[1] إنّيّته علمُ أحد و هو المحيط بكلّ شيء علما. و يختلف كلامُ الهند في معنى الفعل فمن أضافه إليه كان من جهة السبب الأعمّ لأنّ قوام الفاعلين إذا كان[2] به كان هو سببَ فعلهم فهو فعله بوساطتهم، و مَن أضافه إلى غيره فمن جهة الوجود الأدنى. و في كتاب "سانك" قال الناسك: هل اختُلف في الفعل و الفاعل أم لا؟ قال الحكيم: قد قال قوم إنّ النفس غير فاعلة و المادّة غير حيّة فالله المستغني هو الذي يجمع بينهما و يفرق فهو الفاعل و الفعل واقع من جهته بتحريكهما كما يُحرّك الحيُّ القادرُ المواتَ العاجز؛ و قال آخرون: إنّ اجتماعهما بالطباع فهكذا جرت العادة في كل ناش بال، و قال آخرون: الفاعل هو النفس لأنّ في "بيذ" أنّ كلّ موجود فهو من "پورش"، و قال آخرون: الفاعل هو الزمان فإنّ العالم مربوط به رباطَ الشاة بحبل مشدود بها حتى

(١) من ش، و في ز: بعين (٢) من ز، و في ش: كانوا.

تكون

تكون حركتها بحسب انجذابه و استرخائه، و قال آخرون: ليس الفعل سوى المكافاة على العمل المتقدّم؛ و كلُّ هذه الآراء منحرفة عن الصواب و إنّما الحقّ فيه أنّ الفعل كلّه للمادّة لأنّها هي التي تَربُط و تُردّد في الصور و تُخلّي فهي الفاعلة و سائرُ ما تحتها أعوانٌ لها على إكمال الفعل، و لخلوّ النفس عن القوى المختلفة هي غير فاعلة. فهذا قول خواصّهم في الله تعالى و يسمّونه "ايشفر" أي المستغني الجواد الذي يعطي و لا يأخذ لأنّهم رأوا وحدته هي المحضة و وحدةَ ما سواه بوجه من الوجوه متكثّرة و رأوا وجوده حقيقيّا لأنّ قوام الموجودات به و لا يمتنع توهم ليس فيها مع "أيّس[1]" فيه كما يمتنع توهّم ليس فيه مع "أيس[1]" فيها، ثمّ إن تجاوزنا طبقة الخواصّ من الهند إلى عوامّهم اختلف الأقاويل عندهم و ربّما سمُجت كما يوجد مثله في سائر الملل بل و في الإسلام من التشبيه و الإجبار و تحريم النظر في شيء و أمثال ذلك و يوجب[2] [2] التهذّب، مثاله أنّ بعض خواصّهم يسمي الله تعالى "نقطة" ليُبرئه بها عن صفات الأجسام، ثمّ يطالع ذلك عامّيّهم فيظنّ أنّه عظمه بالتصغير و لا يبلغ به فهمُه إلى تحقيق النقطة فيتجاوز سماجةَ التشبيه و التحديد بالتعظيم إلى قوله: إنّه يطول اثني عشر إصبعا في عرض عشر أصابع تعالى عن التحديد و التعديد، و مثل ما حكيناه من إحاطته بالكل حتى لا يخفى عليه خافيةٌ فيظنّ عامّيّهم أنّ الإحاطة تكون بالبصر و البصر بالعين و العينان أفضل من العَوَر فيصفه

(١) من ز، و في ش: أنس. (٢ – ٢) بياض في ش و ز كليهما.

بألف عين عبارةً عن كمال العلم ؛ و أمثال هذه الخرافات الشنعة عندهم موجودة و خاصّةً فى الطبقات التى لم يسوّغ لهم تعاطى العلم على ما يجىءُ ذكرهم فى موضعه .

ج - فى ذكر اعتقادهم فى الموجودات العقليّة و الحسّيّة

إنّ قدماء اليونانيّين قبل نجوم الحكمة فيهم بالسبعة المسمّين ''أساطين الحكمة'' و هم آ ''سُولُن'' الأثينى بَ و ''بيوس'' الفارينى ج و ''فارِياندُروس'' القورنثى دَ و ''ثَالُس'' المليُسوسى هَ و ''كيلون'' اللقاذومونى[1] وَ ''فيطيقوس[2] لَسبيُوس'' زَ و ''قيليبولوس لَنديُوس'' وتَهذُّبِ الفلسفة عندهم بمن نشأ بعدهم كانوا على مثل مقالة الهند ، و كان فيهم مَن يرى أنّ الاشياء كلّها شيءٌ واحد ، ثمّ مِن قائل فى ذلك بالكمون و مِن قائل بالقوّة و أنّ الإنسان مثلاً لم يتفضّل عن الحجر و الجماد إلا بالقرب من العلّة الأولى بالرتبة و إلا فهو هو، و منهم مَن كان يرى الوجود الحقيقىّ للعلّة الأولى فقط لاستغنائها بذاتها فيه و حاجةِ غيرها إليها و أنّ ما هو مفتقر فى الوجود إلى غيره فوجوده كالخيال غيرُ حقّ و الحقّ هو الواحد الأوّل فقط ، و هذا رأى السوفيّة و هم الحكماء فإنّ ''سُوف'' باليونانيّة الحكمة و بها سمّى الفيلسوف ''پيلاسوپا'' أى محبّ الحكمة و لما ذهب فى الإسلام قوم إلى قريبٍ من رأيهم سُمّوا باسمهم و لم يعرف اللقب بعضُهم فنسبهم للتوكّل إلى

(١) من ز ، و فى ش : القاذومونى . (٢) من ز ، و فى ش : فنطنطنقوس .

''الصُفّة'' و أنّهم أصحابها فى عصر النبىّ صلى الله عليه و سلم ، ثمّ صحّف بعد ذلك فصيّر من صوف التيوس ؛ و عدل أبو الفتح البستىّ عن ذلك أحسن عدول فى قوله :

تنازع الناس فى الصوفىّ و اختلفوا   قدمًا و ظنّوه مشتقًّا من الصوف
و لست أنحَلُ هذا الاسم غيرَ فتًى   صافى فصوفى حتى لقّب الصوفىّ

و كذلك ذهبوا إلى أنّ الموجود شيء واحد و أنّ العلّة الأولى تترايا فيه بصور مختلفة و تحلّ قوّتها فى أبعاضه بأحوال متباينة توجب التغايرَ مع الاتّحاد ، و كان فيهم مَن يقول : إنّ المنصرف بكلّيّته إلى العلّة الأولى متشبّهًا بها على غاية إمكانه يتّحد بها عند ترك الوسائط و خلع العلائق و العوائق ؛ و هذه آراء يذهب إليها الصوفيّة لتشابه الموضوع ، و كانوا يرون فى الأنفس و الأرواح أنّها قائمة بذواتها قبل التجسّد بالأبدان معدودة مجنّدة تتعارف و تتناكر و أنّها تكتسب فى الأجساد بالخيرورة ما يحصل لها به بعد مفارقة الأبدان الاقتدارُ على تصاريف العالَم و لذلك سمّوها ''آلهة'' و بنوا الهياكل بأسمائها و قرّبوا القرابين لها ؛ كما يقول جالينوس فى كتاب ''الحثّ على تعلّم الصناعات'' : ذوو الفضل من الناس إنّما استأهلوا ما نالوه من الكرامة حتى لحقوا بالمتألّهين بسبب جودة معالجتهم للصناعات لا بالإحصار و المصارعة و رمى الكرة، من ذلك أنّ ''أسقليبيُوس'' و ''ذِيُونُوسِيُوس'' إن كانا فيما مضى إنسانين ثمّ إنّهما تألّها أو كانا منذُ أوّل أمرهما متألّهَين فانّهما إنّما استحقّا أعظم الكرامة بسبب أنّ أحدهما علّم الناس الطبّ و الآخر علّمهم صناعة